

حوريتي تسأل...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مودة إلى شفتيها الطاهرتين »

قالت: لقد غرب الشُعاعُ ا فقلتُ: ما

غربتُ بِشاشتهُ وأنتِ بِجَارني ا
قالتُ: وَكَيْفَ؟ فقلتُ: أنتِ شُعاعَةٌ

بِيضاهُ في قَدَحِ الْمَسَاءِ الذَّائِبِ
تَفْتِي الْأشْعَةَ وَالْمَوَالِمُ خَلْفَهَا وَسَنَّاكَ يَشْرِقُ فِي قَتَامِ غِيَاهِي
أَنْوَارُ حَبِّكَ خَالِدَاتٌ فِي دَمِي عَمَّرَتْ لَدَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِي
بِسِوَالِكِ لَا تَزِنُ الْوُجُودَ بَصِيرَتِي إِلَّا بِوَهْمٍ فِي الْجُورَانِجِ سَارِبِ
لَا تَنْدُبِي شَمْسَ النَّهَارِ ، فَطَالَمَا

— دَارَتْ رَحَاهَا فِي الضُّحَى بِمَصَائِي

البائس الناثر على نفسه وعلى الناس والأيام عبد الحميد الديب ...
وعبد الحميد الديب هذا شخصية عجيبة متناقضة ، تثير
في النفس بمظهرها وبأدبها وبسلوكها كل عواطف الإشفاق والقسوة
والألم والضحك. فهو يعجبك بشعره، ولكنه يفضلك بسلوكه.
وهو يضحكك بحدسه، ولكنه يؤلك بمظهره. أشمته الأقدار
قسوة وإرهاقا وبؤسا، وأشبعها هو استحقاقا واستهانة وزرابة.
وهو على حاله تلك يمتد بنفسه إلى أبعاد حد، ويرفع شعره فوق
كل شعر، فشوق مهما سما في تقديره لا يبلغ شمرة في مفرقه،
وهو ملازم للفيشاوي لا يريمه في الضحى والأصيل والعشية، حتى
لقد بيت على كراسيه. ولقد جاء الميد وتفرق إخوانه كل إلى شأنه
وبقي هو وحده على إفرير الفيشاوي بنشد:

يا معشر الديب وافي كل مقرب إلا غريبكم في مصر ما بانا
قدمتمو الشاة قربانا لميسدكم والدهر قدمي للبؤس قربانا
لقد تغير كل شيء في الحياة! ومن ذا الذي يا عمر لا يتغير؟!
وها هو ذا ممول الهدم يهدد مقعى الفيشاوي بالدمار تنفيذا لقرار
دائرة الأميرة شوبكار. فهل يحفل أدباء الفيشاوي بتاريخ ناديمهم
العتيق وذكرى أيامهم الطيبة فيه كما يعني بذلك أدباء الغرب؟ هيهات!
م . ف . ع

طَلَمْتُ كَلِيَّ فَمَا لَحَتُ لَهَا سَنًا

فِي الْأَرْضِ تَرْفُهُ فِي بَيْدِهِ مَتَاعِي

النَّاسُ حَوْلِي أَنفُسُ مَطْوُورَةٌ

فِي بَهْرَجِ دَنِسِ السَّرِيرَةِ كَأَذِبِ

أَشْبَاحِهِمْ سَقَطَ الْقُبُورِ ، وَطَيْفُهُمْ

— قَدَّمْتُ طَرَفَكَ عَنْهُ — بَوْمُ خَرَابِ

هِيََا أَنْزُكِي عَنْهَا الْحَدِيثَ ، فَإِنِّي

عَنْ دَهْرَهَا لَسْتُ الْفَدَاءَةَ بِعَاتِبِ

عَمِيَاهُ كَابِنِ الطَّيْنِ تَحْبُطُ مِثْلَهُ حَبْطُ الْمُحَيَّرِ فِي هَجِيرِ سَبَاسِبِ

مَالَتْ وَحَادِيهَا الظَّلَامُ لِشَاطِيءِ

فِي الْفَرَبِ مِنْ جُرْحِ النَّمَطِ مَعَ خَاصِبِ

سَمَرَتْ جِنَازَتَهَا بِطَرَفِي مِثْلَمَا إِنَّمَا بَمَرُّ عَلَى صَهِيرِ الرَّاهِبِ ...

نَسَانِي الدُّنْيَا جَبِينُكَ فَاسْكِي قَبْأُ أَعْرَمَ مِنَ الشُّعَاعِ الْغَارِبِ

أَيَّامِي أَحْتَضِرْتِ أَقْيَازِي إِذَا لَمْ يَجِبْهَا نُورُ الْجَبِينِ الْغَائِبِ

قَالَتْ: وَمَا لِلنَّيْلِ يُشْبِهُ سَاجِدًا نَسِيَ الصَّلَاةَ وَلَجَّ فِي اسْتِغْفَارِهِ؟

قُلْتُ: ارْزُقِيهِ ، لَعَلَّ مَوْجَةَ سَطَطَهُ

تُنْبِيكَ دُونَ النَّاسِ عَنْ أَسْرَارِهِ

هُوَ شَاعِرٌ مِثْلِي رَاكَ فَرَّقَ لِي وَأَذَابَ هَذَا السَّعْرَيْنِ أَوْ تَارِهِ

وَأَعَانَ مِنْ هَرَمِي الْجَبْرِ مَجَّ عَلَى الْهَمْوِي

وَشَدَا بِلَوَاعِيهِ عَلَيْكَ وَتَارِهِ

وَمَضَى يُغْنِمُ فِي الضُّفَافِ ، وَفَتْنِي

— وَمَصَائِي تَنْسَابُ فِي تَيَّارِهِ ا

قَالَتْ: كَا بَاتِ الْمَسَاءِ أَهَجَّنِي ا قُمْ هُزُّ مِنْ فَجْرِ الْخَلِيَالِ مَصَابِي

هَاتِ اسْتَفْنِي نَعْمَ الصَّبَاحِ لَعَلَّنِي

أَنْتِي عَلَى شَفَةِ الْمَسَاءِ كَا بَاتِي ا

قُلْتُ: ارْزُقِيْنِي فِي غَدِ إِنْ الْأَمْسِي

فِي الرُّوحِ أَحْرَسَ هُوَلُهُ شَبَابِي ا...
محمود حسن إسماعيل « وزارة المعارف »

